ResearchGate

See discussions, stats, and author profiles for this publication at: https://www.researchgate.net/publication/308795306

صفات وأساليب القائمين بالنصيحة للولاة والحكام من خلال القرآن الكريم ـ قصة مؤمن آل فرعون "أنموذجا ـ"

Article · January 2015

CITATIONS
0

READS
98

1 author:

Jihad Alnusairat
University of Jordan
30 PUBLICATIONS **0** CITATIONS

SEE PROFILE

All content following this page was uploaded by Jihad Alnusairat on 03 October 2016.

The user has requested enhancement of the downloaded file.

بسم الله الرحمن الرحيم

بحث عن:

صفات وأساليب القائمين بالنصيحة للولاة والحكام من خلال القرآن الكريم

. قصة مؤمن آل فرعون أنموذجا ."

إعداد:

د. جهاد محمد فيصل النصيرات

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: {وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ (٢٨) يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ (٢٩) وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ (٣٠) مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ (٣١) وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ (٣٢) يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٣٣) وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ (٣٤) الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ (٣٥) وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ (٣٦) أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ (٣٧) وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ (٣٨) يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ (٣٩) مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ (٤٠) وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ (٤١) تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ (٤٢) لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ (٤٣) فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (٤٤) فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ (٤٥) النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ (٤٦)} [غافر: ٢٨ – ٤٦] .

الملخص.

تتناول هذه الدراسة صفات وأساليب القائمين بالنصيحة للولاة والحكام وذوي الشأن، وذلك عبر عرض أنموذج قرآني وهو قصة مؤمن آل فرعون مع قومه في سورة غافر.حيث أظهرت الدراسة أن أهم الصفات التي يجب أن يتحلى بها القائمون على

هذا النوع من النصح والدعوة هي : الايمان العميق والعلم والحكمة بالإضافة إلى حسن الخلق، ثم عرضت هذه الدراسة إلى الأساليب الدعوية التي يجب اتباعها في نصيحة الولاة وذوي الشأن وكان على رأسها: استعمال أسلوب التدرج، وربط واقع الأمة بتاريخها وتجاربها السابقة، وكذلك الترغيب والترهيب، بالإضافة إلى الموضوعية.

الكلمات المفتاحية:

النصيحة، الولاة والحكام، مؤمن آل فرعون.

ABSTRACT

Characteristics and methods of advisers of governors and rulers in the Qur'an: the story of the believer of the family of Fir'awn as a pattern

This paper investigates the characteristics and methods of advisers of governors and rulers in the Qur'an with reference to the story of the believer of the family of Fir'awn in *Surat Ghafir* as a pattern. The study reveals that the advisers' characteristics are: deep and firm faith, knowledge, wisdom, and good manners. The study also highlights the legal methods which should be followed by advisers of governors and rulers. At the top of the list of these methods come the gradual and gradation method, making connection between reality of nation and its history and previous experiences, encouragement and warning, and being objective in both presentation and debate.

Keywords:
Advice, governors and rulers, the believer of the family of Fir'awn.

بسم الله الرحمن الرحيم

" صفات وأساليب القائمين بالنصيحة للولاة والحكام من خلال القرآن الكريم . قصة مؤمن آل فرعون أنموذجا . "

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، والصلاة والسلام التامان الأكملان على خيرة خلقه محمد بن عبد الله، وعلى آله ومن استنَ بهديه إلى يوم الدين وبعد؛ فإن النصيحة قطب هام من أقطاب هذا الدين، ومحور فاعل من محاور الشريعة على أصعدتها المختلفة: السياسية، والاقتصادية، والقضائية، والأخلاقية والاجتماعية وغيرها من الصعد، ولما كان الأمر كذلك، احتاجت هذه العناية الخاصة من المشرع في بيان حدودها ومنطلقاتها وأبعادها وآثارها وضوابطها المختلفة.

<u>أهمية الدراسة</u> : تكمن أهمية هذه الدراسة في النقاط التالية:

- **أنها تتناول موضوعا هاما من موضوعات الشريعة الغراء تقوم عليه مقاصدها، وتظهر به قوتها وثباتها ألا وهو موضوع النصيحة.**
- **أنها تتناول جانبا هاما من جوانب موضوع النصيحة، وهو ما يتعلق بالأسلوب الشرعي في نصيحة الولاة والحكام وأصحاب السلطة.**
- **أنها تعرض للصفات الواجب توافرها في القائمين على هذه النصيحة.**
- **أنها تعرض أنموذجا قرآنياً فريداً، وهو قصة مؤمن آل فرعون الذي كان يكتم إيمانه إلا أن ذلك لم يمنعه من قيامه بالنصح لذوي الشأن ضمن أرقى الأساليب من خلال بعض الصفات التي تهيأت له فأمكنته من القيام بوظيفته.**

<u>أهداف الدراسة</u>: تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق ما يلي:

١- إبراز أهم الصفات الواجب توفرها في القائمين على عملية النصح للولاة وأصحاب الشأن، من خلال عرض أنموذج قرآني يتعلق بهذا الموضوع بشكل مباشر.

٢- بيان الأساليب الواجب اتباعها من القائمين على عملية النصح بما يحقق النتائج المرجوة منها، من خلال استنطاق آيات القرآن الكريم من أجل النهوض بالأساليب الدعوية إلى المستوى الذي يضمن لها تحقيق النتائج المرجوة منها.

٣- **الكشف عن مظهر هام من مظاهر الإعجاز البياني يتعلق بإبراز دور المفردة القرآنية والنظم الذي جاءت فيه في إبراز مقاصد القرآن التربوية والدعوية وذلك من خلال عرض أنموذج قرآني.**

٤- **<u>الدراسات السابقة</u>: لم يقع الباحث على دراسة علمية مؤصلة تعالج هذا الموضوع من هذه المحاور والزوايا المراد بحثها في هذه الدراسة، إلا أنني قد أفدت من الموسوعات التفسيرية المتنوعة. وكذلك من الكتب التي عالجت القصص القرآني بما يثري هذه الدراسة ويرفع من سويتها ، وبذلك تكون هذه الدراسة قد اكتسبت ميزتها من جمعها لهذه الدرر والنفائس التي خطها يراع علمائنا الأفاضل وذلك تحت عنوانات ومطالب هذه الدراسة بما أكسبها هذا التبويب والتقسيم.ولا أنكر أنني قد أفدت كثيراً من دراسة ماجد بن محمد الماجد الموسومة بـ: الإعجاز البياني في قصة مؤمن آل فرعون، المنشورة في مجلة اتحاد الجامعات العربية/الآداب، المجلد الخامس، العدد الثاني. وذلك من خلال الوقوف على أثر الأساليب البلاغية في الدلالة على المعاني، فبحث د. ماجد قد اختص بالجانب البلاغي في آيات مؤمن آل فرعون وليس في الجانب الموضوعي منها فبحثي يختلف عن هذه الدراسة في أنه يعالج صفات وأساليب القائمين على النصيحة من خلال قصة مؤمن آل فرعون، فليس الغرض الأساس من هذا البحث أن أتناول هذه القصة القرآنية بالدراسة البيانية، بل بالدراسة الموضوعية التي تعتمد على استنطاق الآيات القرآنية للخروج بنظرة قرآنية متكاملة لهذا الموضوع من خلال هذا الأنموذج القرآني.**

<u>منهجية البحث</u>: تقوم هذه الدراسة على المنهجين: الاستقرائي والتحليلي للآيات التي عرضت لقصة مؤمن آل فرعون مع قومه، في سبيل استنطاق هذه الآيات من أجل الوقوف على أهم الصفات والأساليب الواجب توافرها في القائمين على عملية النصح، من خلال تناول جانب هام من جوانب قصة موسى عليه السلام التي عرضها القرآن الكريم في مواضع عديدة، حيث تتناول هذه الدراسة جانبا من قصة مؤمن آل فرعون مع قومه في سورة (غافر) .

لذا اقتضت طبيعة هذه الدراسة أن تكون في مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة.

المقدمة: يعرض فيها الباحث لأهمية الدراسة وأهدافها والدراسات السابقة وخطة البحث.

التمهيد: عرض فيه الباحث للأغراض العامة للقصة القرآنية، ومبيناً فيه الوحدة الموضوعية في سورة غافر.

المبحث الأول: صفات القائمين على النصيحة للولاة وذوي الشأن. وفيه مطالب:

المطلب الأول: الإيمان العميق.

المطلب الثاني: العلم.

المطلب الثالث: الحكمة.

المطلب الرابع: الصفات الخلقية والأدبية.

المبحث الثاني: الأساليب الشرعية الواجب اتباعها في نصيحة الولاة وذوي الشأن. وفيه مطالب:

المطلب الأول: التدرج.

المطلب الثاني: ربط الواقع بالتاريخ والتجارب والخبرات البشرية السابقة.

المطلب الثالث: الترغيب والترهيب.

المطلب الرابع: الموضوعية.

الخاتمة: وفيها يعرض الباحث لأهم النتائج والتوصيات .

وهذا ولا أدعي العصمة فيما أنقل وأكتب، فما كان صوابا حمدنا الله عليه وما كان خطئا استغفرنا الله ثم صوبناه.

والحمد لله رب العالمين

التمهيد:

تعد القصة القرآنية من أهم المحاور التي استعملها القرآن الكريم في تحقيق أهدافه وغاياته. يقول الأستاذ سيد:" القصة في القرآن ليست عملا فنيا مستقلا في موضوعه وطريقة عرضه وإدارة حوادثه كما هو الشأن في القصة الفنية الحرة التي ترمي إلى أداء غرض فني طليق إنما هي وسيلة من وسائل القرآن الكثيرة إلى أغراضه الدينيه ... وقد خضعت القصة القرآنية في موضوعها، وفي طريقة عرضها وإدارة حوادثها لمقتضى الأغراض الدينية [1]وقد حدد القرآن الكريم الأهداف العامة لهذا القصص بقوله تعالى: { فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (١٧٦)} [الأعراف: ١٧٦] **وقوله:** {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (١١١) } [يوسف: ١١١] **وقوله:** {وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (١٢٠)} [هود: ١٢٠].

ومن التفكر والاعتبار والتثبيت انبثقت الأهداف الفرعية الكثيرة للقصص القرآني [2].وقصة موسى عليه السلام من أكثر القصص القرآني وروداً، فقد ذكر موسى عليه السلام نحو (١٣٦) مرة في القرآن الكريم في (٣٤) سورة، تباينت فيها المقاطع المختلفة من قصته طولا وعرضا. فبعضها عرض لحياته من ميلاده إلى بعثته، وبعضها عرض لما جرى بينه وبين فرعون عندما رجع إلى مصر، وبعضها يتحدث عما جرى بينه وبين بني إسرائيل لما خرج من مصر بعد غرق فرعون وجنوده، وما جرى في أرض التيه، وبعض هذه السور أجملت هذه المراحل كلها وفصلت في بعضها.

قد وردت قصة مؤمن آل فرعون في سورة غافر فقط التي يقول فيها ابن عطية: "هذه السورة مكية بإجماع، وقد روي في بعض آياتها أنها مدنية، وذلك ضعيف والأول أصح[3]"، وقد سميت هذه السورة في مصاحف الشرق بأنها سورة مؤمن، وبذلك ترجم لها البخاري في صحيحه [4].

وسورة غافر تشترك مع السور المكية الأخرى في معالجة قضية الحق والباطل، والإيمان والكفر، وقضية الدعوة والتكذيب، وبأس الله الذي يأخذ العالين والمتجبرين، ولكنها تنفرد بإيقاعاتها الخاصة ولمساتها المميزة، في افتتاحها ومشاهدها المختلفة، وفي وقعها العنيف على القلب البشري وهي تعرض مشاهد القيامة ومصارع الغابرين، وفي لمساتها الرقيقة وهي تعرض حملة العرش ومن حوله يدعون ربهم ليتكرم على عباده المؤمنين، وتأتي قصة مؤمن آل فرعون في الشوط الثاني من أشواط السورة في معرض بيان موقف

الطغيان ودعوة الحق، يظهر فيها ذلك الرجل المؤمن الذي يكتم إيمانه، يدفع عن موسى لما هموا بقتله، ويصدع بكلمة الحق والإيمان في تلطف وحذر في أول الأمر، ثم في صراحة ووضوح في النهاية، ويعرض في جدله مع فرعون حجج الحق وبراهينه قوية ناصعة، ويحذرهم يوم القيامة، ويمثل لهم بعض مشاهده في أسلوب مؤثر.[٥]

وقبل البدء بفصول هذه الدراسة لا بدّ من تعريف مفردة (النصيحة).

يقول ابن فارس: "النون والصاد والحاء أصل يدل على ملاءمة بين شيئين وإصلاح لهما، ... ويُقال: أنصحتُ الإبل إذا أرويتها فنصحت، وناصحٌ العسيل ماذِيّه : كأنه الخالص الذي لا يتخلله ما يشوبه"[٦]ويرى الراغب أن النصح " تحري فعلٍ أو قولٍ فيه صلاحُ صاحبه"[٧] .

وإذا كانت النصيحةُ قائمةً على إسداء النصح الخالي من الشوائب بحق من نوجّه له النصح فإننا نجد أنّ مفردة النصيحة قد أخذت بصيغها المختلفة (١٣) موضعاً من كتاب الله تعالى مما يدل على عناية القرآن الكريم بهذا القطب المتين من أقطاب الدين، فالنصيحة هي طريق الأنبياء والمرسلين، وأسلوب الدعاة والمصلحين، وبها يقوم الدين كله، وعليها ترتكز سلامة الأمة في الدارين، لذا نجد سورة الأعراف – التي أخذت على عاتقها عرض العقيدة الإسلامية عبر تاريخها الطويل بدءاً من أبينا آدم –عليه السلام– وانتهاءً بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم– ، قد استعملت هذه المفردة مرات عديدة على لسان أنبياء الله حتى كانت أوفر السور حظاً بهذا المجال، فأول ورودٍ لهذه اللفظة في ترتيب المصحف الشريف كان على لسان ابليس –لعنه الله– وهو يوسوس لأبينا آدم –عليه السلام– {وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ (٢١)} [الأعراف: ٢١] ، ثم جاء ذكرها في معرض دعوة نوح –عليه السلام– لقومه قائلاً: {أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٦٢)} [الأعراف: ٦٢] . وهذا هود –عليه السلام– يقول لقومه: {أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ (٦٨)} [الأعراف: ٦٨] . وهذا صالح –عليه السلام– يقول: { فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ (٧٩)} [الأعراف: ٧٩] .

بل إن لفظة (النصيحة) قد وردت ضمن قصة موسى –عليه السلام– في موضعين آخرين من القرآن الكريم في سورة القصص، الأولى منهما كانت على لسان أخته حين التقطه آل فرعون، حيث حرّم الله عليه المراضع منهم فقالت: { هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ (١٢)} [القصص: ١٢]. ثم جاءت بعد ذلك على لسان رجل صالح،

سكت القرآن عن اسمه حيث قال عنه: {وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ (٢٠)} [القصص: ٢٠] .

ويرى الأستاذ سيد قطب أن الأرجح أن يكون هذا الرجل المذكور في سورة القصص هو مؤمن آل فرعون الذي يكتم إيمانه(٨)، وإليه مال كثير من المفسيرين، لكن الذي يبدو – والله تعالى أعلم وأحكم – أن القرآن قد نكّر هذه الكلمة ونوّنها تفخيماً لشأن الرجولة عموماً دون النظر إلى عين المفخم وبيان ذاته، وذلك جرياً على عادة القرآن الكريم في ذكر هذه المبهمات، حيث لم يثبت صحيح أثرٍ في ماهية هذا الرجل في سورة القصص وإن كان لا يوجد مانع عقلي من كونه مؤمن آل فرعون، لا سيّما أنّ القرآن نعته بقوله (من أقصى المدينة) حيث يغلب أن يسكن فرعون وملئه، وهم أصحاب الشأن في إصدار مثل هذه القرارات، ويتصور أن يكون مؤمن آل فرعون قد تسرب إليه الخبر بحكم عمله قريباً منهم.

المبحث الأول: صفات القائمين على النصيحة للولاة وذوي الشأن

إن الصفات التي يجب أن يتحلى بها الداعية إلى الله ـ لا سيما من نذر نفسه لدعوة ذوي الشأن ـ كثيرة جدا، يمكن لنا بقراءة متأنية في هذا الأنموذج القرآني من قصة مؤمن آل فرعون أن نقف على أبرزها،ذلك أنَ هذا الرجل كان من آل فرعون ، بل يبدو أنَه من المقربين من العائلة الحاكمة مما دفعه لإخفاء إيمانه، لكنَه لم يستطع الصبر حين وصل بهم الأمر إلى قرار القتل ، وإذا كانت الفرعونية رمزاً للسلطة المستبدة الظالمة في كل زمان ومكان ،فإنَ هذا الأنموذج الرائع– مؤمن آل فرعون–يمثل بصفاته وأساليبه التي اتبعها منهجاً يجب على الدعاة الذين نذروا أنفسهم للدعوة أن يحتذوا به ، خاصَة مع أولي الأمر وأصحاب السلطة والشأن ، ولعل أبرز صفة يجب توفرها في هذا النوع من الدعاة ، تنبثق عنه بقية الصفات هي صفة الرجولة. فالنص الحكيم قرر ابتداءً في وصف هذا المؤمن بأنه (رجل)، فقال تعالى: {وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ (٢٨)} [غافر: ٢٨]. فالرجولة هي رأس الأمر كله، إذ إن استعراضاً سريعاً لهذه الكلمة في القرآن الكريم يعطينا ما يؤكد ذلك. فقد قال تعالى: { لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ (١٠٨)} [التوبة: ١٠٨]. فالطهارة نابعة من الرجولة، وقال تعالى: {فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (٣٦) رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ (٣٧)} [النور: ٣٦، ٣٧] ، فهذه الصفات كلها كانت ثمرة لتلك الرجولة. وقال أيضاً: {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا

عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا (٢٣)} [الأحزاب: ٢٣، وقال: {وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (٢٠)} [يس: ٢٠] ، وقال : {وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ (٢٠)} [القصص: ٢٠] ، وقال: {قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٣) } [المائدة: ٢٣] ، فالرجولة في النص القرآني ليست إلا أقوالا وأفعالا نابعة من إيمان بالله حتى غدت أوصافا لأصحابها، فالرجولة : كلمة شرف وموقف عزة، وهي بذل وعطاء وتضحية وفداء، وهي شهامة ومروءة، وهي إنصاف وإحسان، وقد أشار الخليل بن أحمد الفراهيدي إلى هذا حيث قال: " هذا رجلٌ أي ليس بأنثى، وهذا رجلٌ أي كامل.. وترجَّل القوم إذا نزلوا عن دوابهم في الحرب للقتال، والأرجَلُ من الرجال العظيم الرِّجل ..وترجَّل النهار ارتفع ..وترجَّلتُ البئر أي نزلتها من غير تدلٍّ "[٩]. وأضاف الراغب الأصفهاني: " ويُقال رَجلَةٌ للمرأة إذا كانت متشبهة بالرجل في بعض أحوالها، والرِّجله: البقلة الحمقاء لكونها نابتة في موضع القدم، وارتجل الكلام أزروه قائماً من غير تدبر، وارتجل الفرس من عدوه وترجَّلَ الرجلُ نزل عن دابته، وترجل النهار انحطت الشمس عن الحيطان كأنها ترجلت"[١٠] وبهذا نجد أن هذه الكلمة قد استعيرت من معاني محسوسة إلى معاني معقوله يشترك فيها الرجال والنساء.

وبهذا يمكن لنا أن نقول: إن الرجولة التي وصف بها مؤمن آل فرعون قد حوت بداخلها صفاتٍ كثيرةٍ قد انبثقت عنها، وكانت لازمة لها، وهذه الرجولة ليست حكراً على احدى نوعي الجنس البشري(الذكورة) بل هي مجموعة الخصال الحميدة تحمل صاحبها على التقوى واجتناب الأدناس وما يخلُ بالمروءة عند الناس، وكان غرضنا في هذا المبحث أن نعرض لبعض الصفات التي يجب توفرها في الناصح للولاة والسلاطين والتي تشكل بمجموها الرجولة النابعة من الحق.

المطلب الأول: الإيمان العميق

إن الإيمان العميق بالله يصنع المعجزات. ويبعث الروح في الجسد الميت {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٤)} [الأنفال: ٢٤] ، وقال تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٧)} [النحل: ٩٧] ، فالحياة والموت في

النص القرآني لا يدلان على فاعلية الأعضاء وحيويتها فحسب، بل إنهما يتعديان هذا إلى حياة القلوب والأرواح، لذا كان للشهداء ميزة خاصة عند ربهم رغم خسارتهم حياتهم العضوية، قال تعالى: {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩)} [آل عمران: ١٦٩] **فالإيمان هو الذي يحيي الأجساد الميتة، وهو الذي يعطي الحياة رونقها ، وسموها الخاص بها، مما جعل الفرنسي روجيه شارل جارودي يقول في سبب إسلامه: "في أزمة الغايات، أو بالحري في هذا الغياب غياب الغاية الإنسانية الإلهية، يمكن للإسلام أن يقدم للعالم ما ينقصه وهو نقص مميت نعم يمكن أن يقدم له معنى الحياة، الإسلام دين التوحيد، ففي حين أن عالمنا عالم المنافسة والنمو الكمي والعنف، تبدو فيه الأحداث حصيلة القوى العمياء المتصارعة، يعلمنا القرآن النظر إلى الكون والبشر على أنهما كل واحد، ويعلمنا الله أن نرى في كل شيء وفي كل حدث آية من آيات الله، رمزا لحقيقة أسمى هي حقيقة النظام الواحد للطبيعة والمجتمع ولأنفسنا فكل شيء في العالم خاضع لإرادة الله** [١١]**، وفي هذا المضمار يقول د.عبد المجيد النجار: "إن العلاقة بين الإيمان وبين صلاح الحياة، تغدو شبيهة بأن تكون علاقة تلازم الطرفين، بحيث يكون تحقق الملزوم، وهو الإيمان، مفضيا إلى تحقق اللازم، وهو صلاح الحياة، وذلك ما يوفر في سبيل الدعوة إلى الله منهجا فاعلا في النفوس** [١٢].

ومن هذا المنطلق نجد القرآن الكريم قد أكد في مواضع كثيرة على أن الدعوة إلى توحيد الله تعالى وترك الشرك هي أسمى غايات إرسال الرسل، حيث قال : {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (٣٦)} [النحل: ٣٦] **وقال:** {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ (٢٥)} [الأنبياء: ٢٥]. **ومن هؤلاء الرسل الذين أكدوا هذه الحقيقة: موسى عليه السلام الذي قال لقومه:** { يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ (٨٤)} [يونس: ٨٤].

فالإيمان العميق هو ذلك الإيمان الذي يستند إلى أساس صحيح وقاعدة سليمة ودليل قوي، فهو الذي يجعل صاحبه لا يعبأ في سبيل إيمانه بكل المعوقات والمخاطر التي تواجهه، فهاهم سحرة آل فرعون، بعد أن تمكن الإيمان القائم على البينات والدلائل في نفوسهم قالوا بكل عزةٍ لفرعون وهو يتوعدهم أشد الوعيد{قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٧٢)} [طه: ٧٢].

وها هو القرآن الكريم يثني على المؤمنين وقد تغلغل الإيمان في نفوسهم فما عادوا يعبأون بشيء، قال معقباً على ما جرى مع صحابة النبي –صلى الله عليه وسلم– يوم أحد{الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٧٢) الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣)} [آل عمران: ١٧٢، ١٧٣].

لذا برز هذا الإيمان صفة جلية في قصة مومن آل فرعون الذي يعد أنموذجا فذا في دعوة الولاة وذوي الشأن، وفق منهجية منضبطة استوت أصولها وقامت قواعدها على الإيمان بالله وحده وترك عبادة الطواغيت، وعلى هذا فإنه لا مندوحة من القول: إن الإيمان العميق بالله تعالى وما يترتب عليه من أركان الإيمان الأخرى يعد الصفة الأولى التي يجب توافرها فيمن نذر نفسه للدعوة إلى الله، التي هي القطب الأعظم في الدين، والمهمة التي ابتعث الله بها الأنبياء والمرسلين، وهي ديدن المصلحين في كل زمان ومكان. وبناء على ما تقدم نجد أن القرآن الكريم قد استهل الحديث عن قصة هذا الرجل بقوله: {وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ (٢٨)} [غافر: ٢٨] ، حيث وصف بثلاث صفات: مؤمن، من آل فرعون، يكتم إيمانه، ولكنه قدم الإيمان وذلك لكونه"أشرف الأوصاف"[١٣]. وقد ظهر هذا الإيمان العميق وصفا لهذا الرجل في موضعين آخرين من قصته في سورة غافر، ولكن بتركيب مختلف حيث قال عنه: {وَقَالَ الَّذِي آمَنَ (٣٨)} [غافر: ٣٨و ٣٠]. وقد حاول البقاعي أن يلتمس الصلة بين الوصف بالاسم الموصول وحال الموصول فقال:" ولما ظهر لهذا المؤمن ـ رضي الله عنه ـ أن فرعون ذل لكلامه، لم يستطع مصارحته، ارتفع إلى أصرح من الأسلوب الأول، فأخبرنا تعالى عنه بقوله مكتفيا في وصفه بالفعل الماضي، لأنه في مقام الوعظ الذي ينبغي أن يكون من أدنى متصف بالإيمان، بعد أن ذكر عراقته في الوصف، لأجل أنه كان في مقام المجاهدة والمدافعة عن الرسول[١٤]". وقال أيضا:" عبر بالفعل إشارة إلى أنه ينبغي لأدنى أهل الإيمان أن لا يحقر نفسه من الوعظ[١٥]". ويفهم من قوله هنا أن العناية كانت متجهة بعد وصفه الأول بأنه (مؤمن) إلى القول لا القائل، وأن التعبير بالاسم الموصول المبهم من شأنه أن يفيد أنه ينبغي لأدنى أهل الإيمان أن لا يتوانوا عن الوعظ، لكنني أجد نفسي مضطرا إلى مخالفته في تقرير هذه الحقيقة في هذا الموضع على وجه الخصوص، ذلكم أن دعوة الملأ من قوم فرعون وذوي الشأن لا يتصدى لها إلا من كان قلبه مليئا بالإيمان لما قد ينتظره من صنوف البلاء، لكن

التعبير بالفعل الماضي (آمن) في هذين الموضعين بعد وصفه الأول بالإيمان يحملان في طياتهما ثناء عليه، تعظيما لشأنه وهو يتصدى للملأ من قومه في مشاهد حية يصورها القرآن الكريم تصويرا فنيا يلقي في نفوسنا أن الإيمان قد استقر في قلب هذا الداعية منذ زمن بعيد حتى أصبح ديدنه وشأنه وأن مظاهر هذا الإيمان تتجلى وتتجدد بوضوح في كل حوار له مع قومه.

وليس من التعسف أن يضاف أن هذا الإيمان والتوحيد بالله قد تجلى بأقسامه الثلاثة: توحيد الربوبية، والألوهية، والأسماء والصفات في كل أقوال هذا الداعية الفذ، فقد قال لقومه متنكرا: {وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ (٢٨)} **[غافر: ٢٨] وذلك لما علمه من قول موسى عليه السلام{** وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ (٢٧)} **[غافر: ٢٧]. ويظهر هذا الإيمان في قوله مقررا** {إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ (٢٨)} **[غافر: ٢٨].** وقوله { فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا (٢٩)} **[غافر: ٢٩]** وقوله {وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ (٣١)} **[غافر: ٣١] وإيمانه الواضح بيوم الدين والحساب** {وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ (٣٢) يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٣٣)} **[غافر: ٣٢، ٣٣].**

وقوله لهم في بيان حقيقتي الدنيا والآخرة{ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ (٣٩) مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ (٤٠)} **[غافر: ٣٩، ٤٠].**

وقوله{وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ (٤١) تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ (٤٢) لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ (٤٣) فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (٤٤)} [غافر: ٤١ – ٤٤]. وبهذا يتضح أن وصف الإيمان كان مؤصلا في قلب هذا الرجل قد رسخ في جنانه ونطق به لسانه وعملت به جوارحه وأركانه .

لقد أظهر هذا الرجل الحقائق الرئيسة للعقيدة الحقة التي يقوم عليها هذا الدين، فقد ربط بين الإيمان بالله وبين الإيمان باليوم الآخر، ووصف الله تعالى بما يجب أن يوصف به من أمثال قوله{الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ (٤٢)} [غافر: ٤٢] وقوله{إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (٤٤)} **[غافر: ٤٤] وكذلك ظهر هذا الإيمان في استشهاده بالطواغيت التي يعبدونها من دون الله**

بقوله{تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ (٤٢)} [غافر: ٤٢] ، حيث عبر عن هذه الآله بأداة العموم (ما)، يقول البقاعي:" ولما كان كل ما عداه ـ سبحانه ـ ليس له من ذاته إلا العدم : أشار إلى حقارته بالتعبير بأداة ما لا يعقل[١٦]"

المطلب الثاني: العلم

إن المقصود من العلم هنا: ما يوصل الإنسان إلى ربه ويدله عليه، وهو الذي أثنى عليه في القرآن الكريم وامتنّ علينا به{ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (٩)} [الزمر: ٩] ، ونلمس هذا في أول النجوم تنزلاً على قلب الحبيب –صلى الله عليه وسلم–{اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥)} [العلق: ١ – ٥]

إن العلاقة بين العلم وبين الإبداع في الدعوة إلى الله علاقة وطيدة، فالعلم هو الباعث الأساس لكل إبداع أو انتاج بشري. لذا كان له هذه المنزلة في القرآن الكريم حيث شغل الحديث عنه وعن أدواته كالعقل والسمع والبصر ما يزيد عن ألف آية في القرآن الكريم، فضلا عن حديث القرآن عن العمليات العقلية المختلفة المرتبطة به من: نظر وتبصر وتدبر واعتبار وافتكار وتذكر وادكار وغيرها. ولقيمة هذا العلم وأثره الفعال حرص فرعون على تجهيل أمته ومحاربة موسى عليه السلام ومن معه، وذلك حتى يخلو له الجو فيبيض ويصفركما شاء له الهوى، دل على ذلك قوله تعالى عنه: {فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (٥٤)} [الزخرف: ٥٤] . ويصف الكواكبي ـ رحمه الله ـ هذه الحالة بقوله: " العوام هم قوت المستبد وقوته بهم، عليهم يصول، وبهم على غيرهم يطول، والحاصل أن العوام يذبحون أنفسهم بأيديهم بسبب الخوف الناشئ عن الجهل، فإذا ارتفع الجهل زال الخوف، وانقلب الوضع".[١٧]

ولما للعلم من مكانة في دين الله وفي الدعوة إليه، كان صفة بارزة من صفات أنبيائه ورسله، ففي حديث القرآن الكريم عن آدم ـ عليه السلام ـ في سورة البقرة قال: {وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا (٣١)} [البقرة: ٣١] ، وكان من شأن هذا العلم أن يهيأه للقيام بالخلافة في الأرض، وفي حوار إبراهيم عليه السلام مع أبيه قال: { يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (٤٣)}

[مريم: ٤٣] ، وفي بشرى الملائكة لإبراهيم ـ عليه السلام ـ : {قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ (٥٣)} [الحجر: ٥٣] . وفي وصف الله تعالى للرجل الصالح الذي أراد لنبيه موسى عليه السلام أن يلازمه ويتعلم منه كي يوقن أنه ليس أعلم أهل الأرض وأن هنالك من هو أعلم منه، قال عنه{ وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا (٦٥)} [الكهف: ٦٥]. وفي آخر سورة يوسف يأتي التوجيه الرباني لنبي الرحمه حبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم أن يقول للناس: {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٨) } [يوسف: ١٠٨، ١٠٩].

قال شيخ المفسرين: قوله"على بصيرة": يقين عليم مني به[١٨] وإن من شأن هذه البصيرة القائمة على العلم اليقيني المستند إلى الدليل أن تعين الداعية إلى الله أن يواجه أصعب المواقف وأن تنور له أحلك الظلمات، لذا فإن أصحاب العلم لم يعبأوا بفتنة قارون لما خرج على قومه في زينته ولم يتمنوا أن يكون لهم مثل ما لقارون، بل إنهم حذروا قومهم منه{ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ (٨٠)} [القصص: ٨٠]

لقد برزت الشخصية العلمية لهذا الرجل المؤمن في أكثر من مظهر من مظاهر حواره مع الملأ من قومه، حيث يظهر في عمق قرائته للتاريخ لما قال لقومه{ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ (٣٠) مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ (٣١)} [غافر: ٣٠، ٣١]. وربما كان القبط في مصر على علم بما حل بهذه الأقوام لاستفاضة أخبارهم أو لقربهم من مصر[١٩]. ولكن هذا الداعية قد ربط بين هذه الأحزاب وبين حزبه من الأقباط في التقائهم بالشرك بالله تعالى، وهذا أدعى أن يصيبهم ما أصابهم من إغراق أو صواعق أو إهلاك. وعلم الرجل يبدو واضحا بقوله: "والذين من بعدهم" فهو يعلم أقواما آخرين ساروا على دربهم فأصابهم ما أصابهم ووقع عليهم عذاب من الله، ثم إن علم هذا الداعية لا يقتصر على التاريخ العام بل على تاريخ مصر أيضا وما جرى فيها من أحداث، فقد قال لهم بعدها{وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ (٣٤)} [غافر: ٣٤] ، فقد ذكرهم بحالة شكهم وشك أجدادهم فيه، حيث كان يمنعهم مكانته بينهم أن يصرحوا له بتكذيبه، ولكن بعد موته أعلنوا ارتياحهم وأعلنوا موقفهم من دعوته وبهذا تظهر دقة هذا الرجل فيما يقول وفيما ينقل ويسمع. ففي قوله لهم {الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ (٣٥)} [غافر: ٣٥]. يقول الفخر الرازي:" قوله" بِغَيْرِ سُلْطَانٍ " أي بغير حجة، بل إما بناء على التقليد المجرد، وإما بناء على شبهات خسيسة.. وفي ذمه لهم فإنهم يجادلون بغير سلطان، دلالة على أن الجدال بالحجة حسن

وحق وفيه إبطال للتقليد " [٢٠]ويضيف الإمام الآلوسي:" والمراد بإتيانه (السلطان) من جهته سبحانه وتعالى إما على أيدي الرسل ـ عليهم السلام ـ فيكون ذلك إشارة إلى الدليل النقلي. وإما بطريق الإفاضة على عقولهم ، فيكون ذاك إشارة إلى الدليل العقلي، وقد يعمم فيكون المعنى، يجادلون بغير حجة صالحة للتمسك بها أصلا لا عقلية ولا نقلية" [٢١]. وبهذا يظهر النص الحكيم قوة إدراك هذا الداعية وحسن توظيفه لهذا العلم الذي أكرمه الله به في تعامله مع علية القوم.

ومما يؤكد علم الرجل بما لا يعرف إلا بالنقل والوحي ما قاله لقومه محذراً لهم: {وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ (٣٠) مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ (٣١) وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ (٣٢) يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٣٣)لَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ (٣٤)} [غافر: ٣٠ – ٣٤].

وفي قوله{مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ (٤٠)} [غافر: ٤٠] ، فهذا مما لا مدخل للعقل في إدراك جزيئاته، ولا يتأتى لأحد أن يجتهد فيه، بل مرجعه إلى الإيمان والتسليم، ويظهر منهجه في تلقي العلم عن دليل لا يقبل الشك بقوله ناعيا عليهم{تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ (٤٢)} [غافر: ٤٢]

. يقول الزمخشري: " والمراد بنفي العلم: نفي المعلوم، كأنه قال: وأشرك به ما ليس بإله، وما ليس بإله كيف يصلح أن يعلم إلها" [٢٢] . وأضاف الرازي: "فقوله " الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ " إشارة إلى كونه كامل القدرة، وفيه تنبيه على أن الإله هو الذي يكون كامل القدرة، وأما فرعون فهو في غاية العجز فكيف يكون إلها؟، وأما الأصنام فإنها أحجار منحوتة فكيف يعقل القول بكونها آلهة وقوله " الْغَفَّارِ " إشارة إلى أنه لا يجب أن يكونوا آيسين من رحمة الله بسبب إصرارهم على الكفر مدة مديدة، فإن إله العالم وإن كان عزيزاً لا يغلب قادرا لا يغالب، لكنه غفار يغفر كفر سبعين سنة بإيمان ساعة واحدة" [٢٣].

يتضح مما تقدم أن كل كلمة نطق بها هذا الداعية إلى قومه.إنما صدَرها عن علم ودراية بما يقول، فالأفكار واضحة ومسلسلة في عقل الرجل، ولديه منهجية واضحة ومنضبطة في العرض، وقد أفاد فيما ذكر من كل علم سبقه سواء أكان علميا نقليا أم عقليا، والعاقل من يتعظ بتجارب غيره. لذا كان موفقا في كل ما عرضه : لم يقل به عن هوى عاجل بل ريٍ ودراية ووعي، لذا كان على أولئك الذين يتصدون لنصح الولاة وذوي الشأن أن يكونوا من أهل العلم والخبرة، قد

درسوا العلم ودارسوه وتعبوا في التنقير عنه أزمنة، باعثهم على ذلك حب الله وحب رسوله والنصح للمؤمنين.

المطلب الثالث:الحكمة

وردت هذه الكلمة (الحكمة) (٢٠) مرة في القرآن الكريم. وصف الله بها نفسه في مواضع عديدة من القرآن الكريم ووصف بها أنبيائه –عليهم السلام– ، فقد وصف الله تعالى بها نبيه داود . عليه السلام .: {وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ (٢٥١)} [البقرة: ٢٥١] ، وكذلك عيسى . عليه السلام . بقوله تعالى{وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ (٤٨)} [آل عمران: ٤٨] وكذلك جاءت وصفا لآل إبراهيم . عليه السلام { فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا (٥٤)} [النساء: ٥٤]. وأسندت إلى لقمان بقوله تعالى{وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ (١٢)} [لقمان: ١٢. وامتن الله بها أيضا على حبيبه . صلى الله عليه وسلم .{ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا (١١٣)} [النساء: ١١٣].

وإذا كانت الحكمة وصفاً لأنبياء الله –عليهم السلام–، فهي أيضاً أسلوب من أساليب الدعوة والنصح التي اتبعوها مع أقوامهم، مما يدلّ على أنه من الصعب أحياناً أن نفصل بين صفات من يتصدى لنصح الناس وبين أساليبه التي ينبغي عليه اتباعها، ذلكم أن هذه الأساليب إنما تنبع من تلك الصفات.

فقد أمر الله تعالى نبيه . صلى الله عليه وسلم . وكذلك المؤمنين من بعده أن تكون الحكمة من شأنهم وطريقهم في الدعوة إليه فقال: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ (١٢٥)} [النحل: ١٢٥].

وأصل هذه المادة (حكمة) يدل على المنع كما يقول ابن فارس[٢٤] . والحكمة كما يقول الراغب :" إصابة الحق بالعلم والعقل، فالحكمة من الله تعالى: معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الإحكام، ومن الإنسان معرفة الموجودات وفعل الخيرات" [٢٥]، وإذا كانت الحكمة تقوم على هذه الأصول وتمنع صاحبها من الزلل وتحكم رأيه وتجعله سديدا حتى يصيب الحق بعلمه وعقله، فإنها تقوم على وضع الشيء في موضعه الأحق به، لذا كانت وصفا لطائفة من خلق الله تعالى الذين رجحت عقولهم ولهجت أنفسهم ونطقت ألسنتهم بهذه الحكمة، وإننا لنلمح بكل سهولة ويسر أن

هذا الداعية إلى الله الذي استحق الحديث عنه هذه الآيات من كتاب الله تعالى، قد تهيأت له الحكمة في كل أقواله وأفعاله، بل إن ذلك يظهر منذ الآية الأولى التي نقلها القرآن الكريم على لسانه في تصديه للملأ من قومه. والتي أبرزت تلك المنهجية الدعوية لديه [٢٦] من أول المظاهر في حواره معهم قوله تعالى{وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ (٢٨)**} [**غافر: ٢٨**].

يقول الإمام الرازي:" استفهام على سبيل الإنكار وقد ذكر في هذا الكلام ما يدل على حسن ذلك الاستنكار، وذلك لأنه ما زاد على أن قال (ربِيَّ اللهُ**) وجاء بالبينات وذلك لا يوجب القتل ألبته، وقوله(وقد جاءكم بالبينات من ربكم) يحتمل وجهين: الأول: أن قوله (ربي الله) إشارة إلى التوحيد، وقوله (وقد جاءكم بالبينات من ربكم) إشارة إلى الدلائل الدالة على التوحيد، ثم ذكر ذلك المؤمن حجة ثانية في ان الإقدام على قتله غير جائز وهي حجة مذكورة**

على طريقة التقسيم، فقال: إن كان هذا الرجل كاذبا كان وبال كذبه عائدا عليه فاتركوه، وإن كان صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم، فثبت على ان كلا التقديرين كان الأولى إبقاؤه حيا" [٢٧]، وبهذا تتضح حكمة هذا الرجل وقوة هذه الشخصية وهي تدلل على ما تقول، وتفرع القول عن القول كي تناقش كل فرع على حدة وهذا أدعى لمحاجة الخصم .

وتظهر هذه الحكمة جلية . أيضا . في قوله: { وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ (٢٨)} [غافر: ٢٨. **فقد قدم الكذب على الصدق لأنه الأقرب إلى إقناعهم وإعطائهم ما يلبي غرورهم ويكبح جماح أنفسهم وهو أدعى لمتابعتهم له وهذا يشبه ما قاله الشاهد الحكيم من قبل في قصة يوسف . عليه السلام .** { وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٦) وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٧) فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ (٢٨)} [يوسف: ٢٦ – ٢٨].

ونظيره قوله تعالى أيضا{قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٢٤)} [سبأ: ٢٤]. وتظهر الحكمة أيضا في قوله في فاصلة الآية الأولى من مشهد قصته {إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ (٢٨)} [غافر: ٢٨]. **فهو يعرِض بهم دون أن يصرِح من هو المتصف بهاتين الصفتين، وإن كان واضحا للمشاهد أنه يقصد فرعون وملئه، ولكن عندما قال فرعون:** { ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى (٢٦)} [غافر: ٢٦] ، **أزال الكتمان وأظهر وقوفه إلى جانب**

موسى ـ عليه السلام ـ.[٢٨] بدليل أنه قال لهم بعد ذلك{ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ (٤٣)} [غافر: ٤٣].

ومن الحكمة أيضا أنه قال لهم : {يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ (٢٩)} [غافر: ٢٩] ، فذكرهم بنعمة الملك والظهور في الأرض. ثم بدأ بنصحهم(فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا) ، وهنا لطيفة نفسية أشار إليها مفتي الديار الرومية أبو السعود العمادي فقال:"وإنما نسب ما يسرهم من الملك والظهور في الأرض إليهم خاصة، ونظم نفسه في سلكهم فيما يسوؤهم من مجيء بأس الله تعالى تطييباً لقلوبهم، وإيذانا بأنه ناصح لهم ساع في تحصيل ما يجديهم ودفع ما يرديهم سعيه في حق نفسه ليتأثر بنصحه"[٢٩]، وفي قوله لهم أيضا(لكم الملك اليوم) كما يقول ابن عاشور:"تذكير بنعمة الله عليهم، وتمهيد لتخويفهم من غضب الله... والمقصود : تخويف فرعون من زوال ملكه، ولكنه جعل الملك لقومه لتجنب مواجهته فرعون بفرض زوال ملكه"[٣٠].

ومن حكمة هذا الرجل أن يصحح ما قاله فرعون لقومه من المفاهيم المغلوطة التي قررها لهم، فعلى حين يقول فرعون لهم: { {مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ (٢٩)} [غافر: ٢٩]. يقول لهم هذا الداعية : {وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ (٣٨)} [غافر: ٣٨]. فهو لا يفتأ ينقص وينال من كلام فرعون ويرد ضلالته، بهذا التحدي الصريح الواضح بكلمة الحق، لا يخشى فيها سلطان فرعون الجبار، ولا ملأه المتآمرين معه[٣١].

وتظهر حكمة هذا الرجل جلية أيضاً كما نحسها في نظم الجمل وانتقاء الكلمات لا براعة التراكيب، فهو يقول لقومه: {مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ (٤٠)} [غافر: ٤٠]. فقد جعل جزاء المؤمنين جملة أسمية دالة عل الثبات قد صدِرت باسم الإشارة المفيد للتعظيم، وأما جزاء المسيئين ففي الجملة الفعلية المبنية للمفعول محتملة معنى التغير والتخفيف[٣٢]، ويظهر مثل هذا في قوله لهم {تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ (٤٢)} [غافر: ٤٢]. يقول البقاعي: "ولما بين أنهم دعوه إلى ما هو محرم فضلا عن أن يكون له نفع أو ضر في جملة فعلية إشارة إلى بطلان دعوتهم وعدم ثبوتها، بين لهم أنه ما دعاهم إلا إلى ما له الكمال كله. فقال مشيرا بالجملة الاسمية إلى ثبوت دعوته وقوتها بقوله"وأنا أدعوكم" [٣٣].

المطلب الرابع: الصفات الخلقية والأدبية

هنالك مجموعة من الأخلاق والأدبيات التي لا بدَ للداعية أن يتصف بها، لا سيما أولئك النفر الذين نذروا أنفسهم لدعوة الأمراء والسلاطين وأصحاب الحظوة والمكانة، ذلكم أن التعامل معهم يحتاج إلى مهارات وأدبيات خاصة. لما يحفهم من ظروف تحول بينهم وبين سماع الحق أحيانا. لذا كان من شرط النبي أو الرسول أن يتصف بالخلق الحسن. ولقد شهد سبحانه وتعالى لنبي الرحمة ـ صلى الله عليه وسلم ـ بهذا الخلق فقال له: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ (٤)} [القلم: ٤].

وإن القارئ المتأمل في هذا النص الحكيم من سورة غافر الذي خصص للحديث عن مؤمن آل فرعون وموقفه من دعوة موسى ـ عليه السلام ـ أمام قومه، وما نهجه من طرائق في سبيل تحقيق الحق الذي ارتضاه واطمأنت إليه نفسه في محاجته لقومه، ليلمس حسن خلقه وسمو أدبه فيما يقرر وفيما يقول، فإن النص القرآني قد علمنا أن نقرأه بدقة وأن نرخي له سمعنا وبصرنا وأن نفتح له قلبنا حتى نستشعر ما وراء اللفظة القرآنية من دلائل وما تحمله في طياتها من معان ومقررات أكسبها إعجازا منع البشر أن يأتوا بأقصر سورة من سوره. ولعل من أهم هذه الأخلاقيات والأدبيات التي تمتع بها مؤمن آل فرعون، والتي هيأته للقيام بمهمته الصعبة خير قيام.

١.الجرأة الأدبية:

إن الجرأة خلق عظيم، تهيء لصاحبها أن يقول الحق ويرضي ربه دون تهور مخلٍ او جبن مذلٍ. والجرأة خلق ناشئ عن شجاعة القلب وثباته على الحق، لذا فإن ما أقدم عليه مؤمن آل فرعون لا يقوم به إلا من عرف الحق فأذعن له فلم يعد يبالي بعدها بأي شيء سوى هذا الحق الذي آمن به، ومؤمن آل فرعون رغم أنه كان يكتم إيمانه إلا أنه صرَح بكلمة الحق وفق منهجية قامت على التدرج الحكيم ـ كما سيأتي ـ .

ولقد ظهرت هذه الجرأة في دفاعه عن موسى ـ عليه السلام ـ من القتل متنكرا وناعيا عليهم هذه الفعلة الشنيعة التي عزموا عليها وليس ذلك لشيء سوى أنه قال"ربي الله ".

وتظهر جراته كذلك في تهديده لقومه أكثر من مرة إن أصروا على ما هم عليه ففي قوله لهم : { إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ (٢٨)} [غافر: ٢٨] تعريض بفرعون أنه مسرف في عزمه على قتل موسى، كذاب في إقدامه على ادعاء الألوهية [٣٤]. وأعاد هذا الاتهام بعدها بآيات {كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ (٣٤)} [غافر: ٣٤].

ومن جرأته كذلك في تحذيرهم عذاب الآخرة بعد هلاك الدنيا{يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٣٣)} [غافر: ٣٣] ، وهو مشهد مرعب من مشاهد يوم

التناد، وفي كلمة(مدبرين) ما فيها من النيل منهم على إصرارهم، وفي قوله (عاصم) إشارة إلى أن فرعون لا يملك لكم يومها نفعا ولا ضرا.

وتظهر جرأته أيضا في قوله{كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ (٣٥)} [غافر: ٣٥] ، وليس هنالك من هو في تكبر وجبروت فرعون وملئه، ولا يمكن أن تكون هذه الأوصاف لموسى ـ عليه السلام ـ ، وقد قال موسى لقومه في أول السورة {وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ (٢٧)} [غافر: ٢٧] . وبهذا تتضح جرأة الرجل في اقتباساته من كلام موسى تأييداً لا يراه أو كلام فرعون في النيل منه وذلك في السياق الملائم لكل اقتباس.

فقد ظهرت جرأته أيضا في قوله{ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ (٣٨)} [غافر: ٣٨] ، إزاء مقولة فرعون{مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ (٢٩)} [غافر: ٢٩].

وتظهر جرأته أيضا في قوله للملأ من قومه{لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ (٤٣) فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (٤٤)} [غافر: ٤٣، ٤٤]. يقول الإمام الرازي تعليقا على قوله تعالى على لسان مؤمن آل فرعون " فستذكرون ما أقول لكم" : "وهذا كلام مبهم يوجب التخويف ويحتمل أن يكون المراد أن هذا الذكر يحصل في الدنيا، وهو وقت الموت، وأن يكون في القيامة وقت مشاهدة الأهوال، وبالجملة فهو تحذير شديد" [٣٥]. من هنا نلمح هذه الجرأة الأدبية في أنه بدأ كلامه بالاستفهام الإنكاري وأنهاه بهذا التحذير الشديد دلَ ذلك على جرأته النابعة من إيمان عميق بالله تعالى وعدم مبالاته بتهديداتهم وبكل أسلحتهم التي يشهرونها في وجوه الدعاة.

لذا نجده وإن كتم إيمانه في أول الأمر إلا أنه عاد وصرَح به مدوياً على الملأ في نهاية المطاف عندما وجد أنه لا بدّ له من فعل ذلك، فكانت هذه الجرأة، أدبية بحق وليست تهوراً وانفلاتاً.

٢ .الحرص والشفقة على المدعوين:

لا بدَ لمن يتصدى لهذا الأمر ـ نصح الولاة وذوي الشأن ـ أن يظهر لهم حرصه عليهم وشفقته وحنوه على مصالحهم، فهذا أدعى لإجابتهم له، ولقد كرر مؤمن آل فرعون النداء بـ (يا قوم) في النص السابق ثلاث مرات. يقول البقاعي عن تكرار النداء :" كرر ذلك زيادة في استعطافهم بكونهم أهله فهو غير مهم في نصحهم لأنه لا يريد لهم إلا ما يريد لنفسه"[٣٦]. لكننا

نلحظ أنه في المرة الأولى على سبيل الإجمال وفي المرتين الأخريين على سبيل التفصيل، أما الإجمال فهو قوله" يا قوم اتبعونِ أهدكم سبيل الرشاد" وفيه تصريح بأن ما عليه فرعون وقومه هو سبيل الغي، وأما التفصيل فحين بين حقارة الدنيا وكمال حال الآخرة[٣٧]، ولكن نلحظ في النداء الثالث مجيء الواو(يا قوم) لأن النداء الثالث كان مباينا للندائين السابقين، فالنداء الثاني كان قريبا من الأول فلم يحسن الفصل بالواو [٣٨].ومن الشواهد الأخرى على حرصه وتحسره على قومه قوله لهم: {يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ (٢٩)} [غافر: ٢٩]. يقول البقاعي:"ولما خيلهم بهذا الكلام الذي يمكنه توجيهه، شرع في وعظهم إظهارا للنصيحة لهم والتحسر عليهم"[٣٩]. وكذلك ظهر حرصه . كما تقدم . في إدماجه لنفسه معهم في قوله " فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا "، يقول صاحب التسهيل: "وهذا كلام قريب شفيق، ولأن بني إسرائيل حينئذ كانوا أذلاء بحيث لا يتكلم أحد منهم بمثل هذا الكلام "[٤٠].

ويظهر حرصه البالغ عليهم أيضا في قوله: { يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ (٣٠)} [غافر: ٣٠] ، وقوله { وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ (٣٢)} [غافر: ٣٢] ، فقد جاء هذا الخوف مؤكدا بأكثر من مؤكد مما يدل على حرصه عليهم وخوفه من حصول العقوبة لهم، وخوفه إما من عقوبة دنيوية وإما أخروية تلحق بهم أو من كليهم. وقد ذكر القرآن مثل هذا الخوف في حرص إبراهيم . عليه السلام . على أبيه لما قال له{يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا (٤٥)} [مريم: ٤٥] ، فقد ناداه بأجمل ما ينادى به الأب، وأظهر خوفه عليه من مجرد مس النار من رب وصف بأنه رحمن لا يحب أن يعذب عبيده ويظهر هذا الحرص أيضا في تقرير مؤمن آل فرعون لهم حقيقة الحياة الدنيا إزاء الآخرة{ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ (٣٩)} [غافر: ٣٩] . فهذه الجمل قد جاءت بأسلوب الحصر والقصر وأكدت الجملة الأخيرة بأكثر من مؤكد في سبيل تقرير حقيقتها في نفوسهم، وليتم التقابل بين وصف الدارين فناء وبقاء [٤١].

٣.الأسلوب الحسن:

بالإضافة إلى ما تقدم من صفات أخلاقية حريٌ بالداعية إلى الله أن يتصف بها لا سيما مع هذا النوع من الشخصيات والهيآت، فإنه لا بدَ أن يزين ذلك كله بالأسلوب الحسن في الدعوة إلى الله امتثالا لقوله تعالى : {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ (١٢٥)} [النحل: ١٢٥]. ومما لا شك فيه أن مؤمن آل فرعون قد تجلت فيه هذه الصفات بأسرها،

وربما تعلم الكثير منها من نبيه الذي آمن به والتحق بركب دعوته، كيف لا وهو الذي تحقق فيه وفي أخيه قول ربهما لما جاءا إلى فرعون وملئه{فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى (٤٤)} [طه: ٤٤] . فإذا كان القول اللين مطلوبا لفرعون وهو الذي علم الله ادعاءه للألوهية وتجبره على العباد، وقوته عليهم، فكيف ببقية خلق الله، من هنا فإنه يترائى للقارئ في قصة مؤمن آل فرعون صفة اللين وأسلوب الوعظ المنوع وتلوين الخطاب في حواره مع الملأ من قومه، فمثلا في قوله لهم { وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ (٢٨)} [غافر: ٢٨] ، عرض الزمخشري فنقلة من فنقلاته حيث قال:" لم قال (بعض الذي يعدكم) وهو نبي صادق، لا بدَ لما يعدهم أن يصيبهم كله لا بعضه؟ قلت: لأنه احتاج في مقاولة خصوم موسى ومناكريه إلى أن يلاوصهم ويداريهم، ويسلك معهم طريق الإنصاف في القول، ويأتيهم من جهة المناصحة، فجاء بما علم أنه أقرب إلى تسليمهم لقوله وأدخل في تصديقهم له وقبولهم منه فقال(وإن يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم)وهو كلام المنصف في مقالة غير المشتط فيه، ليسمعوا منه ولا يردوا عليه، وذلك أنه حين فرضه صادقا فقد أثبت أنه صادق في جميع ما يعد، ولكنه أردفه (يصبكم بعض الذي يعدكم) ليهضمه بعض حقه في ظاهر الكلام، فيريهم أنه ليس بكلام من أعطاه حقه وافيا، فضلا أن يتعصب له أو يرمي بالحصا من ورائه، وتقديم الكاذب على الصادق من هذا القبيل"[٤٢].

ونلمح أدب هذا الداعية بقوله لهم{الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ (٣٥)} [غافر: ٣٥] ، نلمح في هذه الآية من الكلمة الأولى فيها التفاتا بالضمائر من الخطاب إلى الغيبة، يقول عنه أبو حيان: " ويكون الواعظ قد عدل عند مخاطبتهم إلى الاسم الغائب، لحسن محاورته لهم، واستجلاب قلوبهم، وإبراز ذلك في صورة تذكيرهم، ولا يفجأهم بالخطاب" [٤٣].

ومن حسن أدب هذا الداعية أنه وإن قدم السيئة على العمل الصالح إلا أنه فصَّل الأجر في العمل الصالح فقال: {مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ (٤٠)} [غافر: ٤٠] .

وباختصار يمكن أن نقول: إن حسن خلق هذا الداعية وسمو أدبه النابع من دينه قد هيأ له أن يقوم بوظيفته خير قيام وأن يسجله القرآن حدثا يتلى إلى يوم القيامة.

المبحث الثاني: الأساليب الشرعية الواجب اتباعها في نصيحة الولاة وذوي الشأن : وفيه مطالب.

المطلب الأول: التدرج

إن التدرج المنهجي في دعوة الناس أمر لا بدَ منه، وعليه قام الدين كله، فمنهج التربية القرآني قام على التدرج، فالقرآن المكي قام على تأسيس العقيدة وتثبيتها في النفوس، فلما تهيأت النفوس للتشريعات الربانية بدأت السور المدنية بتقريرها في وقت قصير، ولو بدأ هذا الدين بهذه التشريعات لما استجاب الناس ولأعرضوا ولكنها سنة الله في الدعوة.

وإن الناظر في أسلوب هذا الداعية ليجد هذا التدرج المنهجي في كل كلمة نطق بها، فمنذ الإعلان الأول الذي قال لهم فيه: {أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ (٢٨)} [غافر: ٢٨] . ظهر هذا الاستدراج. يقول الزمخشري عند قوله" دَدَ": "وهو استدراج لهم إلى الاعتراف به، وليلين بذلك جماحهم، ويكسر من سورتهم" [٤٤]. وعند قوله لهم : { وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ (٢٨)} [غافر: ٢٨] ، يقول القرطبي: "ولم يكن ذلك لشك منه في رسالته وصدقه، ولكن تلطفا في الاستكفاف، واستنزالا عن الأذى"[٤٥].

ويبدو هذا التدرج جليا واضحا فيما عرضه بين يدي قومه، فقد أنكر عليهم أولا أن يقتلوا رجلا لا ذنب له سوى أنه يقول ربي الله مع اتيانه بالبينات الدالة على صدقه، ثم استدرجهم بقوله{ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ (٢٨)} [غافر: ٢٨] ، ثم عرض بهم بقوله{إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ (٢٨)} [غافر: ٢٨] ، ثم انتقل يذكرهم بنعم الله عليهم في دوام الملك، وخوَّفهم من بأس الله، ثم انتقل بهم إلى الخبرات والتجارب البشرية السابقة وما أصاب المكذبين، ثم نقلهم إلى مشاهد يوم القيامة، ثم عاد بهم إلى تجربة يوسف . عليه السلام . في أسلافهم الذين مضوا، ثم صرَح لهم بإيمانه بعد هذه الجولة بقوله: {وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ (٣٨)} [غافر: ٣٨]. بل إنه صرَّح وجهر ببرائته من آلهتهم التي يدعون {لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ (٤٣)} [غافر: ٤٣] ،حيث لم يجد حيلةً تمنعه من أن يعلن كلمته مدوية في قصر فرعون رغم ما يترتب عليها، وذلك بعد أن أمر فرعون هامان أن يبني له صرحا يبلغ به أسباب السماوات فيطلع إلى إله موسى ، عند ذلك لم يجد الرجل بدا من كشف عقيدته والإعلان عن نفسه أنه على

دين موسى وليكن ما يكن. وإذا كان هذا الداعية قد تدرج في إعلانه من الأدنى إلى الأعلى فإننا نجد فرعون قد تدرج من الأعلى إلى الأدنى فبعد أن قال في البداية {ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ (٢٦)} [غافر: ٢٦]. فإنه تراجع بعد ذلك وأمر ببناء الصرح بحجة البحث عن إله موسى، ويطلب من قومه التريث حتى يطلعهم على حقيقة موسى، وفي الأمر جزم بأن موسى ساحر كذاب{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٢٣) إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (٢٤)} [غافر: ٢٣، ٢٤]. والآن نراه يقول: {وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا (٣٧)} [غافر: ٣٧]. وهذا يدل على نجاح هذا الداعية في زعزعة موقف فرعون أمام الرأي العام إزاء تقدمه أمامهم [٤٦].

ولقد ختم هذا المؤمن موقفه بقوله: { وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (٤٤)} [غافر: ٤٤] ، حيث أدرك أنه وصل إلى قمة التجرد من كل حول وقوة إلى حول الله وقوته، فليس له حافظ سوى الله، فقد واجه طغيان فرعون بكل ما يملك من وسائل ترقى بها شيئا فشيئا حتى وصل إلى الإعلان النهائي الذي قد يؤدي بحياته في نهاية الامر، وهذا يعطي الدعاة والمتصدرين لهذه الوظيفة درسا بأن آخر العلاج الكيِ، وأنه لا بدَ قبل الوصول إلى الطريق المغلق من استفراغ كل الأساليب والوسائل التي تلزمهم في دعوة هذا الصنف من الناس، محاولين التقليل من الأضرار المترتبة على ذلك، ثم التوكل على الله بعد الأخذ بهذه الأسباب، وأن لا يقلبوا المفاهيم فيظنوا أنهم لا بدَ أن يبدأوا حيث انتهى هذا الداعية، فهذا فهم مقلوب للأشياء.

المطلب الثاني: ربط الواقع بالتاريخ والتجارب والخبرات البشرية السابقة

إن من أهم الأساليب التي يجب على الداعية اتباعها وهو يواجه صنفا من البشر قد اقتضت ظروفهم أن يكونوا في موضع السلطة، أن يحاول أن يربط واقعهم بماضيهم من ناحية، وواقعهم بواقع غيرهم من ناحية أخرى، فالله تعالى يقول: {قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ (١٠٤)} [الأنعام: ١٠٤] .

ولهذا أكثر القرآن الكريم من ذكر الأمم السابقة التي خرجت عن الجادة وما حدث معهم{ فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ (٤٥)} [الحج: ٤٥] ، وقوله: {وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا (٨)} [الطلاق: ٨] وهذا نبي الله هود يقول لقومه{وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي

الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٧٤)} [الأعراف: ٧٤]. **وهذا شعيب يقول لمدين**{ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (٨٦)} [الأعراف: ٨٦].

من هنا نجد هذا الداعية الأنموذج قد أحسن توظيف الخبرات البشرية التي يعرفها في تقرير ما يريد، فالرجل قد قرأ التاريخ ودرسه، وأدرك الخط المعياري فيه،فعلم ان الله تعالى ناصر دينه ولو بعد حين، فها هو يذكرهم بما حلَ ببعض الأقوام التي يعرفون{وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ (٣٠) مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ (٣١)} [غافر: ٣٠، ٣١] . يقول الإمام البقاعي عند قوله(مثل يوم الأحزاب) :" **ولم يأت بصيغة الجمع (أيام)، وإفراده أروع وأقوى من التخويف وأفظع في الإشارة إلى قوة الله ـ تعالى ـ وأنه قادر على إهلاكهم في أقل زمان**" [٤٧].

وقد اقتصر هذا الداعية على أهم الأقوام السابقة التي اشتهرت في الجزيرة وإن كان قد أشار إلى غيرها بقوله"والذين من بعدهم" فهو إذن مطلع على تجارب كثيرة جمعها كفر وإشراك ثم هلاك وإغراق، وكأن هذا الرجل قد كشف أمامه ستار الغيب فهو ينظر بعين باصرة يربط حاضر الأمة بماضيها، ولا أدلَ على ذلك مما قاله لهم بعدها{وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ (٣٤)} [غافر: ٣٤] ، فهو يذكرهم بيوسف ـ عليه السلام ـ الذي كان موسى من ذريته، وكيف وقفوا منه ذلك الموقف، يقول ابن عاشور: "توسم فيهم قلة جدوى النصح لهم، وأنهم مصممون على تكذيب موسى، وارتقى في موعظتهم إلى اللوم على ما مضى، ولتذكيرهم بأنهم من ذرية قوم كذبوا يوسف لما جاءهم بالبينات، فتكذيب المرشدين إلى الحق شنشنة معروفة في أسلافهم فتكون سجية فيهم" [٤٨]، وفي هذا تلهيب لهم للإقبال على دعوة موسى وأن لا يفعلوا ما فعله أسلافهم فيندموا كما ندموا.

وبهذا يتبين أن هذا الرجل المؤمن قد أحسن توظيف هذه التجارب البشرية إذا اتحدت العلة، فقد وظف المحورين الزماني والمكاني في سبيل التوكيد على تكرار مثل هذه التجربة في تاريخ البشرية، كي يقفوا على العلة الموجبة للإهلاك فيها فينتفعوا من هذه التجارب. وهذا هو شأن الداعية الناجح في كل زمان.

المطلب الثالث: الترغيب والترهيب

ينبغي للداعية المتصف بالعلم والحكمة، أن يلجأ لهذين الأسلوبين في أثناء نصحه لمن حوله وذلك بحسب ما يقتضيه المقام، فتارة يقدم الوعد وتارة الوعيد فإنّ استعمال أسلوبي التخويف والرجاء من أنجح الوسائل في التعامل مع الجنس البشري على العموم، فإننا نجد أن هذه النفس البشرية يتجاذبها الرجاء والخوف في كل تقلباتها واستعدادتها، ولولا هذين المحورين لما استقامت حياة الإنسان ولما استمرت وتجمد كل شيء، إذ إنّ الإنسان يحتاج لحوافز ايجابية وسلبية تساعده على العمل والحركة في إعمار الكون. لذا فقد أكثر القرآن من هذين الأسلوبين لا سيما في القرآن المكي، وأكثر كذلك من وصف الجنة والنار بحسب السياقات التي تأتي فيها الآيات القرآنية، لذا نجد الأنبياء . عليهم السلام . قد استعملوا هذين الأسلوبين مع اتباعهم عبر الأزمان، يقول الله تعالى: {كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ (٢١٣)} **[البقرة: ٢١٣]. وقال:** {وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ (٤٨)} **[الأنعام: ٤٨].وقد استعمل موسى . عليه السلام . هذا الأسلوب مع فرعون وقومه يظهر ذلك من قوله تعالى:** { اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي (٤٢) اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (٤٣) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى (٤٤)} **[طه: ٤٢ – ٤٤] . فقد قدم القول اللين على غيره في هذه الآية إشارة إلى أن هذا الأسلوب قد يكون الأنفع في بعض الحالات.**

وإننا نلحظ بكل جلاء ووضوح أن مؤمن آل فرعون قد راوح بين الأسلوبين مع قومه، فابتداء قال لهم عن موسى . عليه السلام . : {وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ (٢٨)} **[غافر: ٢٨] ، فهو يتكلم بغاية الإنصاف واضعا احتمالات القضية مقدما لهم ما يرغبون سماعه، مقللا من العذاب الذي يمكن أن يلحقهم إن تبين صدقه بقوله(**يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ**) لكنه يهددهم بطرف خفي عندما يقول لهم في فاصلة الآية{** إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ (٢٨)} **[غافر: ٢٨] ، ثم يلاطفهم بقوله لهم:** {يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ (٢٩)} **[غافر: ٢٩]. يقول أبو حيان:"وناداهم بالملك الذي هو أعظم مراتب الدنيا وأجلّها"[٤٩].**

وفي تقديمه شبه الجملة (لكم) ما يفيد أنه يعجل ما يسرهم بل ربما ما يخصهم فكأنه يقول: لكم وليس لغيركم هذا الملك حال كونكم ظاهرين في الأرض قد غلبتم بني إسرائيل فيها واستعبدتموهم.ثم بعد ذلك جاء بالتهديد والوعيد في قوله : { فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا (٢٩)} **[غافر: ٢٩] حتى يكون هذا أدعى لخوفهم على زوال الملك والظهور في الأرض. ثم بعدها يقول لهم:** {وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ (٣٢) يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا

لَهُ مِنْ هَادٍ (٣٣)} [غافر: ٣٢، ٣٣]. فقد خوَفهم في هذه الآيات من عذابي الدنيا والآخرة إن هم بقوا على ما هم عليه.

ثم جاء بالأسلوبين معا في قوله: {مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ (٤٠)} [غافر: ٤٠]. فقد قدم ما يسوئهم وأخَّرَ ما يسرهم، يقول البقاعي: "ولما بين العدل في العقاب بين الفضل في الثواب تنبيها على أن الرحمة سبقت الغضب"[٥٠] ولكنه فصَّل في الرحمة ترغيباً لهم، دلَ على ذلك تغير النظم في الآية، فجزاء المسيئين جاء بالجملة الفعلية المبنية للمفعول وذلك حتى ينشغلوا بالفعل عن الفاعل إشارة إلى بطلان دعواهم وعدم ثباتها، وعند الحديث عن جزاء المؤمنين فقد جاء بالجملة الاسمية الدالة على الثبوت والاستقرار، مصدرة باسم الإشارة (أولئك) تعظيما لهم ولشأنهم. وفي ذلك ما فيه من الترغيب لهم[٥١]، فضلا عن قوله بحق المحسنين"يرزقون فيها بغير حساب".

يقول الزمخشري: " قوله (بغير حساب) واقع في مقابلة (إلا مثلها) يعني: أن جزاء السيئة له حساب وتقدير، لئلا يزيد على الاستحقاق، فأما جزاء العمل الصالح فبغير تقدير وحساب، بل ما شئت من الزيادة على الحق والكثرة والسعة [٥٢]. وفي مقابل تفصيله للرحمة في بيان جزائهم إن استجابوا له، فقد فصَّل في نتائج دعوتهم إن استجاب لهم فقال: {وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ (٤١) تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ (٤٢) لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ (٤٣)} [غافر: ٤١ – ٤٣] . فدعوته لهم تؤدي إلى النجاة ودعوتهم له تؤدي إلى النار لأنها قائمة على الكفر بالله من خلال الإشراك به وهذا مآله إلى النار"وان المؤمنين هم أصحاب النار". ثم ختم كلامه بتهديد خفي لهم بقوله: {فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (٤٤)} [غافر: ٤٤]. يقول الرازي: " هذا كلام مبهم يوجب التخويف، ويحتمل أن يكون المراد، ان هذا الذكر يحصل في الدنيا وهو وقت الموت، وأن يكون في القيامة وقت مشاهدة الأهوال وبالجملة فهو تحذير شديد"[٥٣].

وعلى هذا فإنّ أسلوب الداعية اتكأ على جناحي الترغيب والترهيب، وأنه كان يمدُ جناحه في كل مرة بما يعينه على التحليق. فقد بدأ كلامه بما يرغبهم بقوله: " ان يك كاذبا فعليه كذبه " وبقوله: "لكم الملك ظاهرين في الارض" إلا أته اختتمه بتهديد ووعيد، وهذا يدلُ على تمكنه من هذه الدعوة، بل تمكن الدعوة من قلبه حتى غدا رائدا من روادها على طريق نبيه موسى . عليه السلام . مع مشكاة النبيين والصالحين.

المطلب الرابع: الموضوعيـــة

إن الموضوعية تقتضي من الداعية أن يعرض دعوته وأن يحاور من كان على غير ملته بكل تجرد ودون تعصب وبكل منطقية في الإقناع، من خلال عرضٍ له مقدماته وفصوله وتبعاته وخاتمته ، وهذا مانجده تماما في قصة مؤمن آل فرعون، فالرجل كان موضوعيا بكل معنى الكلمة، لكن دون أن تؤثر هذه الموضوعية على عقيدته ودينه؛ فالرجل رغم كتمانه لإيمانه إلا أن ذلك لم يمنعه من الجهر التدريجي بدعوته حتى انتهى بإعلانها على الملأ ولو كلف ذلك حياته، فإن التآمر على قتل موسى ـ عليه السلام ـ من قبل فرعون وملئه ما كان ليصبر عليه أو يُحلم فيه، ولكن إنكاره عليهم لم يمنعه من المناقشة الموضوعية الهادئة المتزنة التي خاطب فيها عقولهم وقلوبهم على حدٍ سواء ، ويظهر ذلك من خلال ما يلي:

ـ قوله: {أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ (٢٨)} [غافر: ٢٨] ، **دلّت على أنّ دعوة موسى ـ عليه السلام ـ تستند إلى أدلة وبراهين حريٌ بها أن تدرس بعناية، بخلاف معبوداتهم دليل ذلك أن السحرة لما آمنوا بعدما رأوا ما رأوا وكانوا قد حلفوا بعزة فرعون أنهم الغالبون، قالوا لفرعون لما هددهم بالتقتيل والصلب:** {قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٧٢)} [طه: ٧٢] . **فالموضوعية تقتضي أن تكون الدعاوى مستندة إلى دلائل تقويها وإلا بقي أصحابها أدعياء.**

ـ في قوله: {يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا (٢٩)} [غافر: ٢٩] ، **توجيه موضوعي وقراءة متأنية في تاريخ الحضارات التي سبقت حضارتهم وكيف زالت، وقد دللَ على قوله هذا**{وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ (٣٠) مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ (٣١)} [غافر: ٣٠، ٣١] . **وكأنه يقول لهم: إن الإنصاف والعدل يقتضي أن نقرأ في عوامل نهوض تلك الحضارات وفي عوامل سقوطها، فإن العاقل من اتعظ بغيره، فإنه من الممكن أن لا تدوم حضارتنا ولا يبقى ملكنا.**

ـ في قوله: {الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ (٣٥)} [غافر: ٣٥]. **موضوعية في تقرير أن هذا الجدال إن لم يستند إلى سلطان قوي فهو جدال كتب له البطلان، وإن لم تكن الموضوعية في أن تدلل على ما تراه حتى تقتنع به غيرك، وإلا فبماذا يمكن أن تكون!!**

ـ وكذلك في قوله: {تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ (٤٢)} [غافر: ٤٢]. ما يؤكد ما تقدم في ضرورة التدليل على الأقوال والمعتقدات. وإذا أردنا أن نعرف فضيلة ومزية هذه الموضوعية لمؤمن آل فرعون فما علينا إلا أن نقارنها بموضوعية فرعون الذي يقول لقومه: {مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ (٢٩)} [غافر: ٢٩]. وقوله: {وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ (٣٦) أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ (٣٧)} [غافر: ٣٦، ٣٧] . فأي موضوعية فيمن نصَب نفسه إلها على قومه وهو يوقن كذب نفسه، وكان الأحرى به أن يردَ الحجة بالحجة والدليل بالدليل، لكنه المنطق الذي يتقن واللغة التي يجيدها.

من هنا فإنني قد أفهم ما أورده الحافظ ابن كثير في تاريخه من طريق البزار عن علي بن أبي طالب فهماً مخالفا لما ذكره، فقد أورد ابن كثير عن محمد بن عقيل أن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ خطب الناس يوما، فقال: من أشجع الناس؟ قالوا: أنت يا أمير المؤمنين. قال: أما إني ما بارزني أحد إلا انتصفت منه، ولكن أشجع الناس هو أبو بكر، إنّا جعلنا لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عريشا، فقلنا من يكون مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لئلا يهوي إليه أحد من المشركين فوالله ما دنا منا أحد إلا أبو بكر، شاهرا بالسيف على رأس رسول الله لا يهوي إليه أحد إلا أهوى إليه فهذا أشجع الناس. ثم قال: فالله لقد رأيت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقد أخذته قريش، فهذا يحاده وهذا يتلتله، ويقولون: أنت جعلت الآلهة إلها واحدا؟ فوالله ما دنا منا أحد إلا أبو بكر، يضرب هذا، ويجاهد هذا، ويتلتل هذا، وهويقول: ويلكم: أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله؟ . ثم رفع علي بردة كانت عليه، فبكى حتى اخضلت لحيته. ثم قال: أنشدكم الله. أمؤمن آل فرعون خير أم هو؟ فسكت القوم. فقال علي: فوالله لساعة من أبي بكر خير من ملء الأرض من مؤمن آل فرعون. ذاك رجل يكتم إيمانه، وهذا رجل أعلن إيمانه.(٥٤)

فهذه الرواية ـ إن صحت سندا ـ فهي محمولة على أنها رأي علي بن أبي طالب بدليل أن الصحابة قد سكتوا عندما سألهم: من خير؟ وكأنهم ترددوا ولم يجزموا بالإجابة وربما اجتهد الإمام علي فظن أن هذا المؤمن قد كتم إيمانه تطوعا أو رغبة ورهبة، ولكن الناظر في قصة فرعون يجد مدى القهر والطغيان الذي وُصف به فرعون بدليل أن الله تعالى وصفه بذلك، وربما كان هذا الرجل يخفي إيمانه برغبة من موسى ـ عليه السلام ـ أو أتباعه، لأن وجوده في هذا المكان نصر لهم كما قد كان، ثم إن هذا المؤمن قد جهر بإيمانه وتحدى فرعون نفسه فضلا عن الملأ عندما رأى الضرورة تقتضي ذلك، لذا فإن الأولى فيما اعتقد أن يقال: إن كليهما قد اقتضاه الأمر أن

يضحي بحياته دفاعا عمن يحب وما يعتقد، وكلٌ قد أحسن في مقامه الذي كان فيه ، والله تعالى أعلم وأحكم .

الخاتمة

لقد توصلت هذه الدراسة إلى النتائج والتوصيات الآتية:

- **إن التصدي لدعوة الولاة والسلاطين وذوي الشأن مهمة عظيمة، لا يتصدى لها إلا النفر القليل الذين تهيأت لهم الصفات والأساليب اللازمة لهده المهمة.**
- **إن الإيمان العميق والعلم والحكمة وحسن الخلق هي بعض الصفات من نذر نفسه لدعوة ذوي الشأن ونصحهم، كما تقرر ذلك في قصة مؤمن آل فرعون.**
- **يجب على من يتصدى للمهمة السابقة أن يراعي بعض الأساليب اللازمة والتي على رأسها: التدرج والربط بين الواقع المعيش والخبرات البشرية، وكذلك استعمال أسلوبي الترغيب والترهيب بحسب ما يلزم، والموضوعية في كل ما يقول أو يفعل.**
- **توصي هذه الدراسة بضرورة قيام نفر من العلماء المتخصصين بالدراسات القرآنية باستنطاق الآيات القرآنية وفق منهجيات التفسير الموضوعي وذلك للوقوف على منهج القرآن الكريم في التعامل مع الآخر، من أجل إبراز هذا المنهج القرآني العظيم وقدرته على التعامل مع كل المشكلات البشرية .**

والحمد لله رب العالمين

الهوامش

[1]: قطب، سيد ، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، بيروت والقاهرة، ط٧، ١٩٨٢، ص ١٤٣.

[2] : انظر هذه الأهداف في :المصدر السابق، ص١٤٥ وما بعدها

[3] :ابن عطية الأندلسي ، محمد عبد الحق (٥٤١ هـ) ، المحرر الوجيز .

[4]: انظر:العسقلاني، ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري،دار إحياء التراث العربي، بيروت،ط٢، ١٤٠٢هـ،كتاب التفسير،سورة المؤمن،٨/٤٤٩.

[5]:انظر:قطب، سيد، في ظلال القرآن، دار الشروق، ٥/ ٣٠٦٥-٣٠٦٧ .

[6]: ابن فارس، أحمد بن الحسين بن زكريا، معجم المقاييس في اللغة، دار الفكر، بيروت، بدون طبعة وتاريخ، ص١٠٣٠.

[7]: المفردات، ص٣٤٧

[8] : انظر: في ظلال القرآن، ٥/٢٦٨٥

[9]:الفراهيدي، كتاب العين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ٢٠٠٥، ص٣٤٠.

[10] : المفردات، تحقيق: يوسف السيخ البقاعي، دار الفكر، بيروت، ط١، ٢٠٠٦، ص١٤٤.

[11]:جارودي، روجيه شارل، لماذا أسلمت، إعداد: محمد عثمان الخشت، مكتبة القرآن، القاهرة، ١٩٨٦، ص٩٠-٩١.

[12]: النجار،د. عبد المجيد، الإيمان وأثره في الحياة، دار الغرب الإسلامي، بيروت،ط١، ١٩٩٧،ض١٦٥.

إسماعيل حقي، أبو الفداءاسماعيل حقي بن مصطفى(١١٢٧هـ)، تنوير الأذهان في تفسير روح البيان، دار القلم، دمشق،ط٢ ١٩٨٩، ٣/٤٢٣.[13]:،

البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتب العلمية، بيروت،ط١ ،١٩٩٥، ٦/٥١٠.[14]:

[15]:المصدر السابق، ٦/٥١٦.

[16]:المصدر السابق، ٦/٥١٨.

[17]:الكواكبي، عبد الرحمن، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، مطبعة الأمة،القاهرة، بدون طبعة وتاريخ،ض٣٠-٣١.

الطبري،محمد بن جرير (٣١٠هـ)،جامع البيان عن تأويل آي القرآن،تحقيق أحمد عبد الرزاق البكري ومجموعة من العلماء،دار السلام،القاهرة،ط٢، ٢٠٠٧،[18]:

[19]:انظر:ابن عاشور،محمد الطاهر، التحرير والتنوير،دار سحنون، تونس، ٢٤/١٣٥.

الرازي، محمد بن عمر (٦٠٦هـ)، مفاتيح الغيب(التفسير الكبير)، المكتبة التوفيقية، القاهرة، بدزن طبعة وتاريخ،٢٧/٥٨ بتصرف يسير.[20]:

الآلوسي، محمود شهاب الدين(١٢٧٠ هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،دار الفكر،بيروت،ط٢، ١٩٩٤، ١٣/١٠٣-١٠٤.[21]:

[22]:الزمخشري، محمود بن عمر(٥٣٨ هـ)، الكشاف، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ٢٠٠١، ٤/١٧٣.

[23]: مفاتيح الغيب، ٢٧/٦٤.

[24]:انظر: ابن فارس،أحمد بن حسين زكريا(٣٩٥ هـ)،معجم المقاييس في اللغة،دار الفكر،بيروت،بدون طبعة وتاريخ،ص٢٧٧.

الراغب الأصفهاني،الحسين بن محمد (٤٠٣ هـ)، معجم مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق يوسف محمد البقاعي،دار الفكر،بيروت، ط١، ٢٠٠٦، ص٩٨.[25]

انظر:الخالدي، د.صلاح عبد الفتاح، القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث ،، دار القلم، دمشق، ط٢، ٢٠٠٧، ٢/٤٩٢-٤٩٣.[26]

التفسير الكبير، ٢٧/٥٣-٥٤.[27]

انظر: المصدر السابق، ٢٧/٥٥.[28]

أبو السعود العمادي،محمد بن محمد بن مصطفى(٩٨٢ هـ)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم،دار الكتب العلمية،بيروت،ط١، ١٩٩٩، ٥/٤١٨.[29]

التحرير والتنوير، ٢٤/١٣٢.[30]

انظر: في ظلال القرآن، ٥/٣٨٢.[31]

انظر:د.الماجد بن محمد ، الإعجاز البياني في قصة مؤمن آل فرعون،مجلة اتحاد الجامعات العربية في الآداب،المجلد الخامس،العدد الثاني،ص١٥.[32]

نظم الدرر، ٦/٥١٨-٥١٩.[33]

انظر: الرازي، التفسير الكبير، ٢٧/٥٢.[34]

المصدر السابق،٢٧/٦٣..[35]

نظم الدرر، ٦/٥١٦.[36]

انظر: المصدر السابق، ٢٧/٦٠.[37]

انظر: المصدر السابق، ٢٧/٦٢.[38]

المصدر السابق، ٦/ ٥٠٩.[39]

الكلبي، محمد بن احمد ابن جزيء، التسهيل لعلوم التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٤، ١٩٨٣، ٤/٥.[40]

انظر:ابن الأثير،ضياء الدين(٦٧٣ هـ)،المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تخقيق احمد الحوفي وبدوي طبانه،دار النهضة،مصر،بدون طبعة وتاريخ،٢/٢٧٩.[41]

الكشاف،٤/١٦٧.وانظر:أبو حيان الأندلسي،محمد بن يوسف(٧٥٤ هـ)، البحر المحيط، دار الفكر،بيروت،٢٠٠٥، ٩/٢٥٢-٢٥٣.[42]

أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ٩/٢٥٧-٢٥٨.[43]

الكشاف ، ٤/١٦٧.[44]

القرطبي،أبو عبدالله، تفسير الجامع لأحكام القرآن، مكتبة الرياض الحديثة،الرياض، بدون طبعة وتاريخ، ٨/٣٠٧.[45]

انظر: د. صلاح الخالدي، القصص القرآني، ٢/٥٠١-٥٠٢.[46]

نظم الدرر، ٦/٥١٠.[47]

التحرير والتنوير، ٢٤/١٤٠.[48]

البحر المحيط، ٩/٢٥٤.[49]

نظم الدرر، ٦/٥١٧.[50]

انظر: المصدر السابق، ٦/٥١٨-٥١٩.[51]

[52]: **الكشاف ، ١٧٣/٤.**

[53]: **التفسير الكبير، ٦٥/٢٧.**

[54]: ابن كثير،عماد الدين أبو الفداء اسماعيل، البداية والنهاية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٣٢، ٢٧١/٣-٢٧٢.

View publication stats